Issue 6005 -6006 Saturday- Sunday 7-8/4/2018
الزمان – السنة العشرون العدد 6005– 6006 السبت – الاحد 21 من رجب 1439 هـ 7– 8 من اذار (مارس) 2018 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/20 . UK

لا الوصايا الدينية ولا التحذيرات مفيدة

لصوص الفراعنة يخربون مقابر الملوك

لندن- وائل جمال الدين

اعتقد المصري قديما أن جسد المتوفى تدب فيه روحه، عائدة إليه في مقبرته، ليبدأ رحلة جديدة في العالم الآخر. لذا سعى المصريون إلى اتخاذ كافة التدابير اللازمة والمحكمة التي تكفل حماية المقابر من السرقة، مع ترهيب اللصوص بعبارات التحذير والنصوص الدينية الرادعة حفاظا على أثاث المقبرة الجنائزي من السلب والنهب، حتى يُكتب لصاحبها الخلود.

وعلى الرغم من حرص المصريين الشديد على توفير كافة الاستحكامات الأمنية، لم تسلم مقابر الملوك من جرائم السرقة، باستثناء مقبرة الملك الشاب توت عنخ آمون التي غابت عنها أعين لصوص مصر القديمة، لتكشف بجلاء عن روعة ما كانت عليه مقابر الملوك والملكات، وحجم الثراء الفني والإبداعي الذي شهدته عصور إمبراطورية الدولة الحديثة، بحسب التقسيم التاريخي لعصور مصر القديمة.

وتبارى المصريون في غرس قيم وتعاليم أخلاقية تعلي من شأن عدم انتهاك حرمة المقابر أو العبث بها وبمحتوياتها تجنبا لانتقام الآلهة، كما ورد في نص من تعاليم الملك خيتي الرابع لابنه مريكارع من الأسرة العاشرة يقول له:

"لا تضر منشأة الغير، اقطع الأحجار من المحاجر، وشيّد مقبرتك بما قطعته يدك من أحجار".

وأكد هذا المبدأ نقش آخر ورد في نصوص مقبرة القاضي "حتب مري آخت" في عهد الملك "ني وسر رع" من الأسرة الخامسة يقول فيه إنه:

"بناها من أملاكه دون أن يغتصب شيئا من الآخرين، وفي مكان ظاهر حيث لم تكن هناك مقبرة أخرى، وأولئك الذين سيدخلون إليها ويمسونها بسوء سيحاكمون أمام الإله العظيم".

كما دأب أصحاب المقابر على نقش عبارات ترهيب تتوعد كل من تسول له نفسه انتهاك حرمتها، كنقوش ظهرت في عصر الأسرتين الخامسة والسادسة تحذر اللص بأنه: "سيُحاكم على فعله أمام الإله الكبير".

ونقش آخر على مقبرة كبير كهنة الملك منكاورع يقول:

"كل من يحب الملك والإله أنوبيس الذي يسمو فوق جبله، لا يأتي بأذى لمحتويات هذا القبر".

واعتقد المصري القديم أن الإنسان يعيش حياة واحدة على الأرض، وحياة أخرى بعد الموت، بعد محاسبته على أعماله أمام "ميزان العدل"، فاعتقد منذ عصور الدولة القديمة تحديدا أن بإمكانه الحصول على الجزاء والنعيم الأبدي اعتمادا على الجانب المادي المتمثل في امتلاكه السلطة والثروة، وأن جودة الأثاث المادي الموضوع إلى جانبه في المقبرة يضمن له حسن الجزاء، فحرص على أن يأخذ معه كل متعلقاته من حياته الأولى، ليستخدمها في حياته الثانية.

وتشهد مقابر عصور ما قبل التاريخ على وجود بعض الطعام والشراب والقطع الفخارية إلى جانب المتوفى، مع بعض الحلي البسيطة. وفي ظل تنامي نفوذ الدولة اقتصاديا وارتفاع مستوى المعيشة في المجتمع في عصور لاحقة حوت المقابر أثاثا من أفخر الأنواع وتماثيل بمختلف الأحجام، إلى جانب الحلي الفاخرة المصنوعة من الذهب، والأحجار الكريمة، والمعادن النفيسة، فباتت مطمعا سخيا للصوص ذلك الوقت.

ويرجع انتشار سرقة المقابر في مصر القديمة إلى فساد الجهاز الحكومي، وانهيار منظومة "الحقيقة والعدالة" التي جسدتها الإلهة "ماعت"، ربة العدل التي حفظت الفكر المصري من الفساد الأخلاقي والديني. كما تراجع الوازع الديني على مستوى الطبقة الشعبية بعد أن رصد البسطاء فساد الكهنة وتكالبهم على نهب ثروات المعابد، بل وصل الأمر إلى حد اشتراك بعض الكهنة في سرقات المقابر، كما ورد في بردية "هاريس" المحفوظة في المتحف البريطاني.

أزمات اقتصادية

وكان للأزمات الاقتصادية التي عصفت بالشعب المصري عقب انهيار نفوذ الدولة القديمة مبلغ الأثر في اضطراب الأحوال الاجتماعية.

كما شهد النصف الثاني من حكم الأسرة العشرين تراجع في قيمة النحاس المصري، وأصبحت خزانة الدولة عاجزة عن الوفاء بمستحقات بعض العمال، فانتشرت السرقات.

وترى كلير لالويت، أستاذة الأدب المصري القديم بجامعة باريس-سوربون، أنه "توجد أزمنة تصبح فيها حاجة المرء إلى التصدي للبؤس وإلى البقاء على قيد الحياة شغله الشاغل وأقوى بكثير من السنن المقدسة، ليبرز مشهد محزن جدا للضياع المادي والأخلاقي في بلد بات يؤخذ على ملوكه الضعف وتراجع النفوذ".

ويرصد تاريخ مصر القديم بدايات مبكرة لسرقة مقابر الملوك، عندما أشار إلى تشييد الملك سنفرو، مؤسس الأسرة الرابعة، مقبرة لزوجته الملكة "حتب حرس" إلى جوار هرمه الذي شيده في منطقة دهشور، فاعتدى اللصوص على مقبرتها في عهد ابنها الملك خوفو، الذي لم يجد حيلة سوى نقل أثاث مقبرة والدته سرا إلى منطقة الجيزة، وحفر بئر جنوب هرمه لإخفاء الأثاث. وحافظ الكهنة من وقتها على طقس لعنة لصوص المقبرة حتى نهاية عصر الدولة القديمة.

وحفظت نصوص برديات مصرية قديمة، مثل بردية "إبوت" و"هاريس" و "أمهرست"، تفاصيل عمليات سطو من بينها مقبرة في نهاية عهد الملك رعمسيس التاسع، ومحاولة البعض سرقة مقابر ملكية في البر الغربي لمدينة طيبة، مثل مقبرة "سخم رع-شدتاوي- سوبك إم ساف"، من ملوك الأسرة الـ17، ومقبرة الملكة "إيزيس" زوجة الملك رعمسيس الثالث.

وتتلخص قصة نهب مقبرة "سخم رع" أن أحداثها وقعت في عهد الملك رعمسيس التاسع، عندما أبلغ "بورعا"، أمير البر الغربي لمدينة طيبة، رئيس الشرطة عن سرقة مقابر ملكية في المنطقة. وعلى الفور، شكل عمدة المدينة الوزير "خعمواست" وساقي الفرعون "نسامون" لجنة تحقيقات لفحص المقابر المبلغ عن سرقتها، وعددها عشر مقابر.

وخلصت لجنة التحقيق إلى حدوث اعتداء بالفعل على مقبرة "سخم رع"، وتوصلت الشرطة إلى الجناة، من بينهم شخص يدعى "أمنبنفر"، عامل بناء في معبد آمون-رع. وسجلت النصوص المصرية القديمة محضرا لاستجوابه غير منقوص مفعما بالحيوية، نورد مقتطفا منه نقلا عن الترجمة الفرنسية للعالم فرانسوا دوما في كتابه "حضارة مصر الفرعونية"، إذ يقول اللص:

"توجهنا كعادتنا لسرقة المقابر، ووجدنا هرم سخم-رع-شدتاوي، ابن رع سوبك إم ساف، وكان هذا الهرم لا يشبه شيئا على الإطلاق، من أهرام ومقابر النبلاء التي اعتدنا سرقتها، أخذنا معنا أدواتنا النحاسية ودخلنا عبر ممر داخل هرم هذا الملك ومن خلال أكثر أجزائه عمقا... وعثرنا على زوجته الملكة (نبخعس) موجودة إلى جواره". وجدنا الملكة ترقد على نحو مماثل وفتحنا التوابيت حيث كانا قد سجيًا، ووجدنا مع المومياء المهيبة لهذا الملك خنجرا، وحول رقبته الكثير من التمائم والحلي الذهبية، ويغطيه قناعه الذهبي، والمومياء المهيبة مغطاة بكاملها بالذهب وتوابيتها مزدانة بالذهب والفضة في الداخل والخارج، ومرصعة بالأحجار الكريمة. جمعنا الذهب الذي وجدناه فوق هذه المومياء المهيبة، وأيضا ذهب التمائم والحلي التي حول رقبته وذهب التوابيت التي كان يرقد فيها. كما وجدنا الملكة على نفس الحال، فجمعنا أيضا كل ما وجدناه فوقها وأشعلنا النار في التوابيت...".

لم تكن سرقة المقابر عملا مارسه المصريون وحدهم، بل تذكر نصوص أخرى مشاركة أجانب في سرقات، مثل قضية رجل يدعى "بيكامن" أتُّهم بالسرقة، وأجريت معه تحقيقات واعترف بجريمته. كما تذكر النصوص تبرئة رجل مصري يدعى "دجاي"، اتُّهم زورا بسرقة مقابر، وأثبتت التحقيقات براءته من التهمة.

وتشير بردية "ماير" إلى واقعة سرقة مقبرة الملك رعمسيس السادس، إذ أدى خلاف اللصوص على اقتسام الغنيمة إلى افتضاح أمرهم.

ومنذ عهد الملك رعمسيس العاشر، جُرد الملك من لقب "الإله الطيب" الذي كان لصيقا به، في دلالة على سوء الأحوال وتراجع الثقة واضطراب سلطة الملوك.

سرقة مقابر

ركز اللصوص على سرقات مقابر الملوك تحديدا، نظرا لتمتع هؤلاء الملوك، بحسب الفكر العقائدي المصري القديم، بحق الحياة في العالم الآخر بصحبة الإله في مملكته السماوية، ومن ثم كان لابد من تجهيز مقابرهم بكل نفيس يليق بهذه المكانة السماوية. وحفظ لنا الأدب المصري القديم نصوصا تشير إلى هذه الفلسفة كهذا المقتطف:

"أيها الواحد الطاهر، تربع على عرشك في سفينة رع، واسبح في السماء، وعش أنت هذه الحياة الطيبة التي يحياها رب الأفق".

وظلت الأخلاق "وقود" حياة المصري قديما حتى ينعم بالبراءة والطُّهر في العالم الآخر، فألزمت العقائد الدينية الجميع على حد سواء بالبرهنة على أهليتهم لهذا النعيم الأبدي، حتى الملوك. وهذا ما عبّر عنه الأدب المصري القديم طبقا لبردية نافيل، في الفصل 125 من نصوص كتاب "الخروج إلى النهار"، المعروف اصطلاحا باسم "كتاب الموتى"، وفقا للترجمة الفرنسية للعالم بول بارجيه، الأستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ليون، للنص المصري القديم:

"لم أرتكب ظلما بحق البشر، لم أسئ معاملة الناس، لم أرتكب خطايا في ساحة الحقيقة، لم أسع لمعرفة المحظور، لم أرتكب شرا، لم أبدأ يومي برشوة من الناس الذين يعملون لدي، ولم يرد اسمي عند رئيس العبيد، لم أسب الإله، لم أبخس الفقير رزقه، لم أقترف ما هو مشين للآلهة، لم اجعل عبدا يعصي سيده، لم أسبب ألما، لم أتسبب في جوع أحد، لم أتسبب في بكاء أحد، لم أقتل..... (إلى آخر ما يطلق عليه باعترافات البراءة)".

ويبرهن النص على حرص المصري على إعلان البراءة أخلاقيا من منطلق شعوره بالمسؤولية، ورفض كل ما يتعارض مع القانون وينتهك الفضائل تجنبا للجزاء الإلهي، وحافزا لتجنب عقوبات فرضها المجتمع، تفاوتت شدتها بحسب حجم الجريمة المرتكبة وحجم الضرر الواقع على المجتمع منها، لتكريس مبدأ الاستقامة.

وفُرضت عقوبات قاسية على سرقة المقابر كجزاء رادع لنهب ما كانت تحويه من كنوز.

ويذكر الملك سيتي الأول أنه أمر بعقوبة قاسية بحق من يسرق ممتلكات مؤسسة دينية بقطع الأنف والأذنين، وأن يعمل في فلاحة الأرض التابعة للدولة، وهو ما أطلق عليه المصري القديم "الخدمة العقابية".

وسواء كانت طبيعة السرقة لمقابر أو ممتلكات دينية أو شخصية، أكد الأدب المصري منذ آلاف السنين على مبدأ الالتزام بالفضيلة في مناحي الحياة، من خلال تعاليم توارثتها أجيال في مسعى للحفاظ على سلوك الفرد في المجتمع كأفضل سبيل لمكافحة الجرائم، لاسيما السرقات، عندما أعلن المصري أمام ميزان أعماله في العالم الآخر قائلا :"لم أسرق، لم تكن ثروتي عظيمة إلا من ملكي الخاص، ولم أسرق هبات المعبد".

بغداد قبلة المبدعين والنجوم

يقينا ان الاجيال التي بعمرنا ومن سبقنا بعقود يتذكر وبمرارة كيف كانت بغداد تفتح ذراعيها لتستقبل النجوم العرب والعلميين من الفنانين والمثقفين والرياضيين والمبدعين في شتى المجالات ، نعم لقد كانت العاصمة بغداد ومنذ سبعينيات القرن المنصرم نزولا الى العقود المنصرمة تفتح ذراعيها للمبدعين ومن مختلف الجنسيات وكانت مسارحها ومنتدياتها الادبية والفنية تعج بالسائحين الذين يقصدونها من شتى بقاع العالم ، ويقينا لا ننسى زيارة كوكب الشرق ام كلثوم التي ستبقى في ذاكرة العراقيين موثقة بالقصص والصور وزيارة الفنانة نجاة الصغيرة وحشد من الفنانين الممثلين والممثلات العرب والاجانب يوم كان الفن والثقافة والادب والرياضة في قمة انتعاشها ومن الظلم الكبير ان نضع المقارنة بين اليوم وامس بعد ان دمرت مفاصل الثقافة والفن وكل شيء في العراق بل وحرموا وجرموا كل ماهو فن لتمهد للمبدعين العراقيين ونجومها مغادرتها الى المنافي ليحطوا رحالهم ويقدموا ابداعاتهم التي العراق احق بها ولكن ، ماذا نقول للذين يقودون العملية السياسية الان ولااريد هنا تسميتهم وغالبية العراقيين صاروا يقرأون مايجري وجرى ، نعم ولاننسى نجوما عالمية زارت العراق من فنانين ومثقفين وادباء ونتذكر زيارة النجوم اوليفر ريد ،ديمس روسسز ،كوكوش ، محمد علي كلاي اوليفر وستن والقائمة تطول من الفنانين العرب والاجانب وهم فخورون بزيارتهم لبغداد العراق ، وايضاً نستذكر زيارة العندليب الاسمر عبد الحليم حافظ الذي احيت الاوساط الفنية الذكرى 41 لرحيله وكيف اقيم له استقبال من قبل الرئيس العراقي الراحل عبد السلام عارف في ذلك الصيف البديع من العام ذاته ،و دعت حينها الصحف العراقية ، جماهيرها ، الى حضور حفلة ساهرة كبرى يحييها ساحر ذلك الزمان العندليب الأسمر ، عبدالحليم حافظ الذي جاء للمرة الأولى ، مع وفد الفنانين العرب ، لإقامة حفلتين في بغداد ، عام 1964 على مسرح سينما النصر فقد شهد شارع السعدون تظاهرات نسوية ضخمة طوال مكوث العندليب في بغداد ، و كذلك المعجبين من الرجال ، الذين جاءوا لمشاهدته وجهاً لوجه ، حتى وصل الأمر ، لغلق الشارع عدة مرات ، بسبب الإزدحام الكثيف ، الذي عرقل سير المركبات .

و كان الفنان عبد الحليم حافظ ، ضمن وفد الفنانين العرب ، الكبير العدد ، من الفنانين والفنانات والموسيقين والعازفين الكبار والفنيين المرافقين للوفد ، والذي ضم كل من المطرب (محمد قنديل – غنى ، وحدة مايغلبها غلاب و على بغداد) وغنت (نجاة الصغيرة – لاتكذبي) و (كارم محمود – أمجاد ياعرب أمجاد) و (شريفة فاضل – السقايين) و (هدى سلطان – إن كنت ناسي افكرك) و (لبلبة – تقليد الفنانين) و (مها صبري – فيها كول) و (فائزة أحمد) و (أحمد غانم) و (ثريا حلمي) و (إسماعيل ياسين) و (إسماعيل شبانة – شقيق عبد الحليم) و (محمد عبد المطلب) و (صباح) و (فهد بلان) و (سميرة توفيق) و (فايدة كامل) و (مريم فخر الدين) و (أمينة رزق) وربما هنالك آخرين .

و بعد أن قدمه الفنان (حسن يوسف) غنى عبد الحليم حافظ ، مجموعة من أغانيه الجميلة ، نعم كانت بغداد قبلة النجوم والمبدعين وليس كما اليوم يحكمها غالبية من الفاسدين واللصوص .

فائز جواد

بغداد

حديث عن لغة الحب

يرى البعض أن الحب مجرد لعبة يلهو بها ويستمتع بها تحركه نزوة طارئة أو رغبة طائشة يبدو فيها كأنه صياد يطارد فريسة .

والواقع أن الحب الحقيقي هو احساس ينبض بالحياة بين قلبين ..احساس يضفي البهجة على النفوس ويوفر لها الدفء والراحة والطمأنينة ، وأنه عاطفة صادقة ولغة مشتركة تتناغم مع أجواء الطبيعة وظلالها الوارفة .

كان الحب فيما مضى مقيدا بقيود ثقيلة يخاف الفتى فيه على سمعته وسمعة من يحب من قول القائلين وهمزاتهم ، لذا كان هذا الحب يعيش في الخفاء وتحت جنح الظلام ، غير أنه كان صادقا تعلوه سمة الوقار ويكسوه ثوب الحياء .

يكابد فيه الفتى الهوى فيتألم بصمت دون أن يبوح بسره لأحد ..

وها هو ذا يرى حبيبته أحلى النساء كأنها ملاك يخلو من كل عيب .. هكذا هو يراها مهما تكن ملامحها .

ان أغلب حالات الحب تلج أبواب القلب دون استئذان فليس ثمة اختيار في الأمر ..ان مجرد نظرة أو ابتسامة أو كلمة تفعل مفعول السحر في الأبدان .

ما هذا الحب ! ما لغزه ! ما سره !

يقول أحد الشعراء : كأن قطاة علقت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان

ترى هل من لقاء بين الحبيبين خلسة بعيدا عن الأنظار ! أم يبقى اللقاء متعسرا وسط بيئة اجتماعية قاسية ! واذا تحقق اللقاء فهل تنطفئ نار الأشواق التي في الصدور !

أترى هذا النوع من الحب يحقق هدفه في آخر المطاف أم أنه يبقى أملا دون جدوى ولا سيما ان الفتاة تساق الى بيت الزوجية على مضض ودون أي اختيار منها بل أن الأسرة هي التي تحسم مثل هذا الأمر .. وهكذا تفشل قصة الحب في أول تجربة مع واقع الحياة .

وفي سيرة بعض شعراء الغزل الأقدمين مثالا للحب العفيف ، فهذا قيس بن الملوح الملقب بمجنون ليلى دفع حياته ثمنا لنداء قلبه ،وهذا جميل يلتقي ببثينة سرا فلا يمس لها طرف رداء ، وهذا قيس لبنى يكاد الشوق يقتله حينما افترقت عنه من تسكن قلبه.

فاذا انتقلنا الى دنيا الحب اليوم فقد تغير الأمر تماما عما كان عليه من قبل وأصبح الحب أشبه بلعبة يغامر بها من يريد المغامرة .

أجل لقد هبط الحب من عليائه الى منحدر صعب وانقلبت قدسيته ونقاءه وتألقه الى مجرد لهو وعبث وقضاء وقت ..

فما أكثر الفتية الذين يتصيدون في الماء العكر حينما يلقون شباكهم لصيد فتيات ساذجات غافلات ، وما أكثر الفتيات اللاتي يقمن بنفس الدور ازاء فتية ساذجين غافلين ..

وقد يحاول بعض الفتية كسب ود الفتاة بأسلوب درامي يبدع في تمثيله ليروق بالتالي للفتاة فتقع ضحية هذه اللعبة لتصاب بعدها بردة فعل شديدة الوطأة على نفسها .

ومع ذلك فان ثمة فتية آخرين قد سلكوا طريقا في هذا المضمار خفقت فيه قلوبهم بصدق .

ان ما يمكن أن يقال عن دنيا الحب اليوم أنها تحولت الى صفحة اعلانات على مواقع الأنترنت لتسيء أسوأ الاساءات الى كلا الجنسين معا .

ما هكذا يكون الحب وليست هذه ايقاعاته ونغماته .. الحب علاقة روحية بين قلبين قد تكون خاتمتها عش زوجية دافئ وهو ذا الغاية المرتجاة منه ، أما اذا توقف هذا الحب عند منتصف الطريق وأعقبه فراق فانه ليس باليد حيلة ولكن هكذا تهيأت الأسباب له لايقاف مسيرته ..ومع هذا يبقى كذكرى تراود القلب بين حين وحين .

فليت عشاق اليوم أو من يزعمون أنهم عشاق ألا تكون سيرة الحب على ألسنتهم مجرد كلام عابر بل يكون هذا الحب كنسيم صبا وشذا ورد يبهج القلب ويحي الأمل ويرسم معالم الطريق .

ناجح صالح

كركوك

عواصم

محمد خالد الشاكر أستاذ القانون الدولي لـ (الزمان):

إرتكاب مجازر ضد الإنسانية في الغوطة وعملية نقل الحكم مرتبطة بفهم آلية الدستور

القاهرة - مصطفى عمارة

تشهد منذ اسبوعين الساحة السورية معارك ضارية فى منطقة الغوطه الشرقية قصفا بالبراميل المتفجرة والطائرات ليل نهار من قوات النظام السوري راح ضحيته الاف القتلى والجرحى معظمهم من المدنيين وسط اتهامات متبادلة من النظام والمعارضة وبينهما روسيا بالتسبب فى تلك المذابح والتى دفعت مجلس الامن الى التدخل لاقرار هدنه لمدة 30 يوما ووسط موجات الاستنكار لهذه المذابح والمطالبه بالتدخل لانقاذ المدنيين تحدث د محمد خالد الشاكر استاذ القانون الدولى ومدير مركز الدراسات بتيار الغد السورى الى الزمان متناولاً وجهة نظره ازاء تلك اتطورات

□ ما هي رؤيتكم للتصعيد الحالي في منطقة الغوطة ومن يتحمل مسئوليته وما هي توقعاتكم بالنسبة للاوضاع هناك خاصة بعد قرار مجلس الامن بهدنه في سوريا لمده 30 يوما ؟

– بداية لابد من القول أن مايجري في الغوطة في سياقه العام، وبعيداً عن التجاذبات السياسية، هو انتهاك صارخ وواضح لمبادىء القانون الدولي الإنساني، ومبادىء القانون الدولي العام. إذ يتعارض مع القانون الدولي الإنساني الذي ضمن حماية المدنيين أثناء النزاعات المسلحة، ومايجري من قصف يومي بآلاف الغارات وعلى مساحة ضيقة 110 كم مربع، يتموضع فيها أكثر من 400 ألف مدني، يقتلون بالمئات بشكل يومي، يجعل من معارك الغوطة في إطار تعريف الحرب القذرة ، التي يدفع ثمنها المدنيون. أما من حيث تعارض القصف مع قواعد القانون الدولي العام، فإن الصراع في سورية مشمول بالاتفاقيات التي رعتها الأمم المتحدة، ومبعوثها الأممي ستيفان ديمستورا، والتي تمخض عنها اتفاقيات استانا ومناق خفض التصعيد.

□ وما هي اهداف التدخل التركي في عفرين ؟ ولماذا صمتت الولايات المتحدة عن هذا التدخل ؟ وهل تتوقع ان يؤدي هذا التدخل الي اعادة التقارب مرة اخري بين النظام و الاكراد واعادة تغيير التحالفات ؟

– بعيداً سياسة بيع الوهم والخطوط الحمر التي انتهجها أردوغان في الصراع السوري والاستثمار في فيه، يمكنني أن أقول لك، بأن تركيا ليس لديها أية مشكلة مع النظام، عندما يتعلق الأمر بالأمن القومي التركي، وهذه بديهية في إطار المصالح الذاتية للدول في العلاقات الدولية، ولكن أكرر لك بأن المشكلة تتعلق في الاستثمار بالسوريين وتشويش رؤاهم وانقساهم، نحن نتفهم أن تدافع أيه دولة عن مصالحها، ولكن لا أن تكون مادة هذا الاستثمار الدم السوري، لأننا والحالة هذه ندخل في إطار جرائم الحرب.وقددفع السوريون أثماناً باهظة في إطار هذه المعادلة، منذ دعم تركيا داخل المجلس الوطني، والائتلاف لمكون واحد دون غيره، الا وهو الاخوان المسلمين، وصولاً لتحويل ما يجري في سورية إلى حرب طائفية كانت تستمرأها تركيا لتصفية حساباتها مع الكرد، وتؤجج بها إيران في إطار مشروعها القذر في المنطقة، الذي يقوم تصدير الفوضى، وصناعة الدول الفاشلة، عبر مصادرة مكونات وطنية (مذهبية) لتفتيت الدولة القطرية، وبالتالي ضرب الأمن القومي العربي، ونظامه الإقليمي. أمام هكذا مشروعين إسلامويين، انتهى الحراك المدني السوري، الذي يبحث عن الديمقراطية، إلى دعوات لإقامة الإمارة الإسلامية في بلاد الشام، والخلافة في العراق والشام. أما عن صمت الولايات المتحدة، فالولايات المتحدة ظلت صامته في الصراع السوري طوال ست سنوات، وخلال إدارة أوباما تمت صناعة ما يعرف بـ (تنظيم الدولة الإسلامية)، وكانت الولايات المتحدة ترى في وجود هذا التنظيم فرصة لتطبيق سياستها التقليدية في المنطقة العربية، التي تقوم على إدارة الصراع وليس حله، ولا تتوقف السياسة الأمريكية عند هذا الحد، لأنها إن لم تجد صراعاً، فإنها تقوم بصناعته لكي يبرر لها التدخل وإدارة الصراع، وهذا ما فعلوه مع الكرد، وإيهامهم بأن لهم مصيراً خارج فكرة السيادة الإقليمية السورية، أو خارج إرادة العيش المشترك داخل الوطن السوري الواحد. وقد ظهر ذلك جلياً في استبعاد المكونات العربية من تحرير الرقة ودير الزور، ومنها قوات النخبة السورية، المؤلفة من أبناء المناطق الشرقية في الحسكة والرقة ودير الزور، والتي شاركت في جميع مراحل الحرب على داعش، في محاولة منا أن نكون كسوريين ظهراء لبعضنا، أمام هذه المعادلة لم يتدخل الأمريكان، علماً أنهم هم من يقودون التحالف الدولي ضد داعش، وهم أنفسهم كانوا قد اعترفوا بالدور الذي ستضطلع به قوات النخبة كضامن لأهالي المنطقة، والآن يتكرر الدور الامريكي نفسه في عفرين في التخلي عن الكرد. لذلك نعتقد بأن على الاخوة الكرد أن يدركوا أن مصيرهم هو مصيرنا كسوريين ليس إلا.

□ وكيف تفسر اسباب التصعيد الاسرائيلي الاخير ضد النظام وهل اسقاط الطائرة الاسرائيلية مؤشر علي تغيير توازنات القوى ؟

– بالرغم مما أثير من لغط حول مؤتمر سوتسي، يمكن أن أقول لك بأن سوتشي جاء فقط كمكمل ومسرع لمسار جنيف، ودليل ذلك حضور المبعوث الأممي ستيفان ديمستورا وفريقه للمؤتمر، أي أنه دفعاً آخر للرعاية الأممية في المسار السوري، من خلال مناقشة السلة الدستورية، بعد أن وصلت المفاوضات بشأن سلة الحكم إلى طريق مسدود، ربما يؤدي إلى مفاوضات إلى مالا نهاية، في الوقت الذي يموت فيه السوريون كل يوم. وقد جاء تشكيل اللجنة الدستورية لتتسق مع القرار 2254 الذي يعتبر سكة الحل في سورية، والذي حدد في المادة 4 ماهية الانتقال السياسي، عبر عطف مسألة الحكم ذي المصداقية بتحديد جدولاً زمنياً وعملية لصياغة دستور جديد، ودعمه لانتخابات حرة ونزيهة تجرى عملاً بالدستورالجديد. لذلك يخطأ من يظن بأن هناك حل حقيقي دون دستور حقيقي يصار على تطبيقه كاليات تنفيذية، وليس مجرد حبراً على ورق، وهذا مرهون بقدرة الطرفين على إيجاد المخارج لكتابة دستر يتوازى مع آليات تنفيذية على الأرض تضمن فكرة المراقبة وتحول دون تجاوز سلطة على أخرى. لذلك نحن بحاجة لدستور تبدأ كتابته بالاتفاق بين السوريين على دراسة الأسباب التي أدت إلى هكذا هزة عنيفة في المجتمع السوري، وهي دون شك تعود لخلل بنيوي كبير في البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في مراحل ماقبل هذا الصراع العنيف. اعتقد من هذه النقطة يمكن أن تبدأ المفاوضات الفعلية التي يمكن أن تحدد المخارج الموضوعية لتملس الجرح السوري، وهي دون شك عملية طويلة ومعقدة، لكنها تحتاج أولاً من النظام البدء بإجراءات بناء الثقة، ووقف إطلاق النار، كمقدمة فعلية لإحداث اختراق حقيقي في العملية السياسية.

□ وهل تتوقع أن تنفذ اسرائيل تهديداتها بضرب الحرس الثوري الايراني وحزب الله في سوريا ؟

– بعيداً عن سياسيات بيع الوهم والمزاودة على دماء أهلنا في سورية، الذي أدى إلى تعقيد الصراع وإطالته ، دعني أقول لك، أن مسألة نقل الحكم دفعة واحدة، أصبحت شيئاً أمره بيد الله وحده، أما المعطيات على الأرض، وواقع التجاذبات الدولية و الإقليمية ، وكذا القراءة القانونية للقرار 2254، فإنها تقودنا إلى أن فهم ماهية الانتقال السياسي مرتبط في أحد جوانبه بفهم آليات عملية بناء الدستور ، التي ستشكل مقدمة فعلية لتحقيق اختراق فعلي ليس في السلة الدستورية وحسب ، بل ستلقي بظلالها تدريجياً على حل سلة الحكم ككل، حيث تبدو هذه العملية أرضية صلبة يمكن البناء عليها للسير في عملية التسوية بمشاركة الطرفين. وفي هذا الخصوص، لايمكنني كقانوني وفي معرض تفسير القرار 2254، إلا أن أقول لك أن تحقيق أي تقدم في السلة الدستورية وبالتالي سلة الحكم، دون الاستناد إلى ماتضمنه هذا القرار الذي رسم للسوريين سكة الحل السياسي، والذي أكد في البند 1 تأييده لبيان جنيف 30 يونيه 2012، كأساس لانتقال سياسي، لكنه في الوقت ذاته أيد أيضاً بياني فيينا ، إذ تضمن بيان فيينا 30 أكتوبر 2015، تشكيل حكومة ذات مصداقية وشاملة وغير طائفية، على أن يعقب تشكيلها وضع دستور جديد وانتخابات. وهنا يجب التفريق بأن آليات السلة الدستورية ومناقشتها لاتعني حسب الوثائق والبيانات وضع الدستور خارج سورية بشكل نهائي، بقدر ماتجنح هذه السلة للحديث عن عمليات طويلة تضلع بها اللجنة الدستورية المختصة، والتي غالباً ما يتعلق عملها بأمور تقنية بحتة، تندرج تحت آليات مايعرف بفقه القانون الدولي بإجراءات أ بناء الدستور ، التي لا تعني صوغ الدستور، بقدر ماهي عملية طويلة وشاقة، تبدأ من الأسفل فالأعلى، أي إنشاء المؤسسات والإجراءات والقواعد التي يقوم عليها وضع الدستور، بما يحقق رويداً رويداً تحقيق اختراق في السلة العقدة (سلة الحكم المشترك) الذي نص عليها القرار 2254، أي أن عملية بناء الدستور هي الضابط الأساس لخلق البيئة الملائمة لوضع الدستور النهائي داخل سورية.

□ وما هي رؤيتك لمستقبل العملية السياسية بعد مؤتمر سوتشي في روسيا ؟

– دعني أقول لك في حسابات الربح والخسارة يخطأ من يعتقد بأن هناك منتصراً في سورية بعد هذا الدم، ويخطأ من يظن أن الحل العسكري سيؤدي إلى انتصار طرف دون آخر. نحن بحاجة لحل سياسي يضمن وحدة سورية، ويحول دون انهيار الدولة السورية، وتحولها إلى دولة فاشلة، ترتع بها حرب إلى مالا نهاية، وهذا مرهون بإرادة السوريين. نحن محكومون كما كل صراع عبر التاريخ بجلوس جميع الأطراف على طاولة التفاوض، والاعتراف بأن التمرس بفكرة الانتصار في معرض وطن يموت كل يوم،هو مجرد وهم، فقد مل السوريون انتصارات النظام وانتصارات المعارضة، التي لم تؤد منذ سبع سنوات إلا المزيد من الدم والتشرد والدمار. إن فكرة التوهم بانتصار طرف دون آخر، إنما هي فكرة تعني الاستحواذ على السلطة منفرداً، وليس أصعب من صراع يكون هدفه الانتصار بالسلطة على حساب الوطن.

□ في حالة كتابة دستور وبدء عملية سياسية فى سوريا هل تقبل المعارضة بالاسد ان يكون احد المرشحين للرئاسة ؟

– يحق لاي مواطن طبقا للدستور اما بالنسبه للمخالفات التى ارتكبها النظام فهذه مساله قانونيه تتعلق بحجم تلك الانتهاكات والثابت ان بشار الاسد سيشارك فى مرحلة انتقاليه في اطار المفاوضات لكن من الممكن ان تشكل المعارضه الحكومه وقد ياتى الدستور الذى سيتم كتابته متضمنا النظام البرلمانى الذى يقلص صلاحيات رئيس الجمهورية ويعطى الحكومه سلطات تنفيذيه اكبر ويبقى مصير بشار مسالة مرهونه بكتابة الدستور.

محمد خالد الشاكر

□ في النهاية، ماهي رؤيتكم للدور المصري في سورية، وماهي مطالبكم من الدور المصري في المرحلة المقبلة؟

– الإجابة على هذا السؤال تعيدنا للسؤال الأول، لفهم مايجري من تعارض مايجري في الغوطة مع اتفاقيات أستانا ومناطق خفض التصعيد التي جاءت كغاية من واقع ماهو موجود على الأرض، حيث يتواجد فصائل، ويتواجد المدنيين، والمقصود بخفض التصعيد، هو خفضه على المدنيين العزل، وقد وقعت اتفاقيات الهدنة في القاهرة بضمانة روسية، وبرعاية الخارجية المصرية.

وكان لمصر دور كبير في هذا الخصوص، خصوصاً في اتفاقية الغوطة الشرقية، التي تم عقدها برعاية قام رئيس تيار الغد السوري السيد أحمد الجربا، إذ جاءت اتفاقيتا الغوطة الشرقية وحمص الشمالي، بعد محاولات قوى إقليمية ومحلية بتقاسم الجغرافيا السورية على حساب التغيير الديمغرافي، وهو ماحصل في اتفاقيات كفريا والفوعة والزبداني، حيث تم نقل أهالي كفريا والفوعة إلى الزبداني، ونقل أهالي الزبداني إلى أدلب، الأمر الذي جعل من اتفاقيات الهدنة تلك مدخلاً لتقسيم سورية، وهوما دفعنا في تيار الغد السوري للتدخل لدى الجانب المصري، الذي نجح في عقد اتفاقيات تبقي على المدنيين والفصائل في أماكنهم، وهو الأساس القانوني لاتفاقية أستانا ومناطق خفض التصعيد، والتي تتسق ومخرجات القرار 2254، بالتعامل مع واقع مايجري على الأرض في إطار الحل السياسي.كمهمة تأخذ بادئ ذي بدء حماية المدنيين، وهذا هو الأساس القانوني لمناطق خفض التصعيد والهدن، كمقدمة لوقف إطلاق النار وإطلاق العملية السياسية. يخطأ من يعتقد بأن هناك منتصراً في سورية بعد هذا الدم